حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

القومية العربية في الشعر الكويتي
خليفة الوقيان أنموذجًا

عبد الله خالد سعود الشويرد العميري*

حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من الجامعة الأردنية–عمان– معلم بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومدرس منتدب– بكلية التربية الأساسية في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب في دولة الكويت
aboabdallah078@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/3/7
تاريخ قبول البحث: 2021/4/10
تاريخ النشر: 2022/12/29

المستخلص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن معاني العروبة والقومية في شعر خليفة الوقيان، مراعيا التسلسل الزمني، وقد قمت بجمع دواوين الشاعر وترتيبها حسب التسلسل التاريخي، ثم ترتيب قصائدها المتعلقة بالعروبة، مبتدئا بالأقدم فالأحدث وهكذا، شارعا بتحليلها ودراستها واحدة تلو الأخرى، مبينا العلاقات فيما بينها، ومبرزا أهم ملامحها ومدلولاتها، كاشفا عن أبعادها التاريخية والواقعية.

الكلمات المفتاحية: (الكويت–العروبة–القومية– شعر–ديوان–حصاد–الريح)

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يعد الشاعر الدكتور خليفة الوقيان أبرزَ الشعراء الكويتيين الذين حملوا هم القومية العربية، هماً ثقيلا يسكن بين أضلعهم ودواوينهم، فالعروبة لم تكن للوقيان مجرد أصل أو لغة، بل كانت أعظم وأعمق، فهي الأصل والأرض والدم واللغة والحب والتاريخ والأخلاق والمبادئ والقيم، والعروبة – عند الوقيان– ليست نسبا، أو انتماءً، أو لغة بل أعمق من ذلك.

***أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

أولا: رغبتي أن أسهم في الكشف عن معاني العروبة والقومية في شعر خليفة الوقيان؛ ولذلك وقع اختياري على موضوع « **القومية العربية في الشعر الكويتي خليفة الوقيان أنموذجًا**» ليكون محلا لدراستي في هذا البحث.

ثانيا: أن هذا الموضوع لم ينل اهتماما في البحث على الرغم من أهميته.

***منهج الدراسة:**

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، الذي يناسب طبيعة هذا الموضوع، إذ يسمح لي بوصف وتحليل "قصائد خليفة الوقيان"، كما سرت على المنهج التاريخي في معالجة قضايا البحث التي تطلبت تتبع مساراتها التاريخية.

مراعيا التسلسل الزمني، فقمت بجمع دواوين الشاعر وترتيبها حسب التسلسل التاريخي، ثم ترتيب قصائدها المتعلقة بالعروبة، مبتدئا بالأقدم فالأحدث وهكذا، شارعا بتحليلها ودراستها واحدة تلو الأخرى، مبينا العلاقات فيما بينها، ومبرزا أهم ملامحها ومدلولاتها، كاشفا عن أبعادها التاريخية والواقعية.

***إشكالية الدراسة:**

أما إشكالية هذا البحث فسيقت على النحو التالي:

ما مفهوم القومية العربية، والقومية في الشعر الكويتي عند " **خليفة الوقيان**"؟

ولأجل الإجابة عن هذا السؤال اتخذ البحث الخطة التالية:

* **خطة البحث:**

قمت في هذا البحث بإثبات ما وقفت عليه من ملامح القومية في الشعر الكويتي في قصائد "**خليفة الوقيان**"، وتناولتها بالتوضيح والمناقشة، وتحتوي خطة البحث على: مقدمة، وخمس نقاط أساسية، ثم الخاتمة، ثم الفهارس العلمية.

المقدمة، وتتضمن: أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة في هذا الموضوع، وإشكالية الدراسة، وقد جاءت خطته على النحو الآتي:

أولا: التعريف بمصطلحات البحث:

ما المقصود بالقومية العربية؟ ومتى ظهرت؟

ثانيا: القومية العربية في ديوان" المبحرون مع الرياح، وديوان تحولات الأزمنة " .

ثالثا: قصيدة الوقيان إلى أبي يعرب، وقصيدة أغنية بغداد.

رابعا: قصيدة الخفافيش، وتحولات الأزمنة، والقومية العربية في ديوان "الخروج من الدائرة".

خامسا: ديوان الخروج من دائرة الصراع، وديوان حصاد الريح.

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

هذا، وأسأل الله –تبارك وتعالى– التوفيق والسداد وبلوغ الغاية، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولا: التعريف بمصطلحات البحث:

ما المقصود بالقومية العربية؟ ومتى ظهرت؟

لابد قبل الولوج إلى الحديث عن القومية العربية في شعر خليفة الوقيان من مقاربة مفهومها، بتعريفها لغة، واصطلاحا، والوقوف على أبعاد هذا المصطلح عند العرب.

فالقومية لغة: هي مصدر صناعي من القوم، والقوم في المعاجم اللغوية: هم الجماعة من الرجال والنساء، وإن خصصها بعضهم بالرجال، وقوم الرجل: شيعته وعشيرته. [1]

القومية اصطلاحا: وفي الاصطلاح لعل أنسبَّ حدٍّ جامع مانع لها أنها: فكرة سياسية اجتماعية بالمعنى الواسع، ترمى بالدرجة الأولى إلى توحيد كل جماعة متجانسة من البشر، وخضوعها لنظام سياسي واحد[2]، أو لأنظمة متعددة متعاونة ومتضامنة في ما بينها، وتقوم على التكامل والتعاضد.

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول بأن القومية العربية هي "**الإيمان بكيان الأمة العربية الدائم أو طابعها المميز، وخصائصها الأصيلة، إيمانا قائما على إدراك الدعائم التي يقوم عليها صرح هذه القومية، مع العمل الدائب لوحدة العرب، وتحريرهم، وتحقيق سيادتهم، والنهوض بهم في جميع شئونهم** "[3].

متى ظهرت القومية العربية في الشعر؟ يرى عزيز السيد جاسم أن رسالة الفكر القومي العربي هي مواصلة النمو والتطور والحماية من الركود والتخلف والتراجع[4].

أما الشعر العربي القومي فهو شعر حديث المنشأ، لم يُعرف في الأغراض الشعرية القديمة، إلا أن جذوره تمتد إلى شعر الحماسة والبطولة والحرب، وقد بدأ في الشعر الكويتي منذ ثلاثينيات القرن العشرين، ولكن القومية العربية لم تكون توجها سياسيا منظما في الكويت إلا مع تأسيس النادي الثقافي القومي عام 1952م[5].

وأما مفهوم القومية العربية عند الشاعر خليفة الوقيان فقد عبر عنه عبده بدوي بقوله: "إن مفهوم القومية عنده، يعتمد أساسا على الامتلاء بالتاريخ العربي، وعلى الخوف من ضياع هذا التاريخ، في عالم تعصف به العواصف، فهو يحاول حراسته بضراوة في كثير من الأحيان، مع الالتزام بلغة هذا العالم وفنونه "[6].

ثانيا: القومية العربية في ديوان " المبحرون مع الرياح، وديوان تحولات الأزمنة "

تحليل ديوان المبحرون مع الرياح:

ديوان " المبحرون مع الرياح " هو أول ديوان يصدره الشاعر الوقيان، وقد ظهرت هذه المجموعة الشعرية في طبعتها الأولى عام 1974م، وتضم القصائد التي كتبها الشاعر بين عامي 1967م و1972م .

إن أول ما يتبدى لقارئ هذا الديوان أن القضية العربية والاتجاه القومي لم تنضج في شعر الوقيان بوضوح بعد، ولم تأخذ حيزا كبيرا من شعره، فهذا الديوان يحتوي على ثلاث وعشرين قصيدة، لم يشر فيها إلى العروبة أو إلى القومية إلا في قصيدة واحدة تناول فيها القضية العربية وهي قصيدة : (في ذكرى وعد بلفور) كتبها عام 1970م، وقصيدتين عن

لبنان كتبهما عام 1971م، إحداهما بإسم (عالية) والأخرى (بيروت)، إذن فأقدم قصيدة كتبها الشاعر في القضية العربية كانت في عام 1970م.

يبدأ الشاعر قصيدة (في ذكرى وعد بلفور)[7] بالتذمر من الواقع العربي الذي أصبح ظاهرة صوتية عاطفية تجاه القضية الفلسطينية، فليس هناك أفعال لتغير الواقع، وإنما هي لقاءات وأصوات ومشاعر معها صدود كما صورها الوقيان بقوله:

(كل عام لنا لقاء جديد ... وهتاف وصيحة ونشيد)

(وحنين يكاد يخترق الصدر ...،وشوق ولوعة وصدود)

وتستمر القصيدة في ذكر مأساة الواقع العربي، ثم يلتمع الأمل الذي يصوره الشاعر بالصباح فيقول : (قد رأيت الصباح في كل عين ... صلبتها على الطريق الوعود) ويستمر في تصوير الأمل الذي يرجو أن يأتي بعد شدة، ويختم القصيدة بالأمل الذي يرمز له بالصباح، ويراه يخرج مع الشدة والعسر، والحل الذي يتمثل في زنود البنادق، على رغم تجدد الأحاديث كل عام والشجب والاستنكار دون تصرف فيقول :

ويطل الصباح من خلل الرمل.. ... وبين الصخور ينمو الوليد

كل عام لنا لقاء جديد .....وحديث الزنود بعث أكيد

ويظهر مصطلح (بعث) في خاتمة القصيدة ليؤكد تأثر خليفة الوقيان بالحركة القومية العربية، التي كانت منتشرة في تلك الفترة، وكانت تستعمل مصطلح "بعث الأمة العربية"، والتي نشأ عنها حزب البعث العربي الاشتراكي، ولسنا نذيع سرا إذا قلنا بتأثر الشاعر بأفكار حزب البعث ودعمه له بعد ذلك، ويظهر ذلك في قصيدته "الخفافيش" والتي كتب في مقدمتها "إلى المعلم صلاح الدين البيطار"، وكان يؤيد فيها البعث، وسنتناول ذلك لاحقا في حديثنا عن ديوان "تحولات الأزمنة".

تحليل قصيدتي بيروت وعالية:

وإذا انتقلنا إلى قصيدتي (بيروت) و(عالية) اللتين يذكر فيهما شوقه للبنان وذكرياته فيها ولعبه ولهوه فيها، وذكره لمحبوبته ومشاعره تجاهها وتجاه لبنان، ومشاعره وهو يغادر لبنان، وكان قد كتبهما في زيارته للبنان عام 1971م، فهو يفتتح قصيدة (عاليه)[8] بذكر الضياع والتغير الذي حل ب(عالية) – وهي من أشهر مصائف لبنان – فيقول:

كل شيء ها هنا ضاع .. تقضى .. وتغير وامحى ما كان بالأمس من الأيام أكبر

ثم يصور فيها ذكرياته مع معشوقته في لبنان، ولهوه ولعبه في طبيعة لبنان الساحرة، ثم يختمها بحزنه كلما تذكر أنه سيرحل عن (عالية)، وهو يؤكد في القصيدة على المكان فهو يكرر فيها اسم (عالية) و(لبنان) ويبهم اسم معشوقته، ويصف (لبنان) و(عالية) ولا يصف معشوقته، وكأن معشوقته الحقيقية هي لبنان فتارة يصرح بها وتارة يلبس عليها لبوس امرأة، ويتبين لنا هنا ملمح أساسي من ملامح قومية الوقيان وهو تعلقه بالأرض العربية فنراه في هذا الديوان متعلقا بلبنان وضواحيها، ويستمر هذا التعلق معه في دواوينه الأخرى ليصور تعلقه ببغداد وصنعاء وغيرهما كما سنبينه – إن شاء الله – في حينه .

وأما قصيدة بيروت[9] فيفتتحها الشاعر باندفاع وفرح فيقول:

"...وجئت إليك يا بيروت تحملني صباباتي
أتيتك يا ابتسام الصبح في ليل تغشاني
و يا وجها ربيعيا يبدد كل أحزاني"

إلا أن نبرته تتغير بعد ذلك، فيفاجأ بتغير الأوضاع في (لبنان) والتي يراها في(بيروت) و(عالية)، فهو يستنكر تغير بيروت وعالية، فيقول :

فأين الحسن يا بيروت أين جداول نشوى
تراقص حولنا تشدو وأين الوجد والنجوى
فلا (عالية) باسمة كما كانت تلاقينا

ويزداد بعد ذلك القلق والحيرة عن التغير الذي حصل وأسبابه، فهو لا يعرف سبب التغيير ولكنه يرى مظاهره، فيقول:

(وجاء قبلي من كهوف الليل إعصار وريح لست أعرفها وأنواء وأمطار)

ويختم القصيدة بدفن شعره في بيروت، فيقرر دفن موهبته الشعرية في لبنان حزنا على ما حل فيها، فيقول :

سأقطع كل أوتاري وأخنق شدو مزماري
وأدفن في ثرى بيروت بقيا بعض قيثاري

فهو في قصيدتيه (عالية) و(بيروت) يؤكد على تغير لبنان وضياعها والخطر المحيط بها، وكأن شعره مرتبط بالواقع السياسي في لبنان، فالعام الذي كتب به هاتين القصيدتين هو العام نفسه الذي نزح فيه الفدائيون الفلسطينيون من الأردن إلى لبنان، والذي كان أعظم أسباب الحرب الأهلية في لبنان التي اندلعت سنة 1975م، فكأن الشاعر كان يشعر بحسه وحدسه بإرهاصات تلك الحرب الأهلية في لبنان، وكان يخشى على لبنان العروبة منها، وكانت نبرة القصيدتين كأنها تنعى تغير الوضع العام في لبنان .

وفي هذا الديوان لا نرى غير لبنان وفلسطين، وإشارة خفية لحزب البعث العربي الاشتراكي، فقد كانت العروبة عند الدكتور خليفة الوقيان في تلك الفترة تحوم حول ذلك، ولم تكن توسعت بعد، بل هي في بداياتها لم تستو وتنضج كما في ديوانه الثاني.

ديوان تحولات الأزمنة:

قبل أن نلج إلى القومية في ديوان "تحولات الأزمنة" يجدر بنا أن نبين أنه لم تظهر للشاعر الوقيان قصائد بين عامي 1972م و1976م وهي تمثل الفترة التي بين قصائد ديوان "المبحرون مع الرياح "وديوان "تحولات الأزمنة"، ولعل سبب ذلك يرجع إلى انشغاله في تلك الفترة برسالة الماجستير، والتي كانت تدور في القضية نفسها التي أخذت حيزا كبيرا من حياة الوقيان وشعره، والتي هي موضوع هذه الدراسة، فقد كان موضوع رسالته "القضايا العربية في الشعر الكويتي" والتي نال بها الشاعر درجة الماجستير بجامعة الكويت عام 1974م، وقد أوصت لجنة التحكيم بطباعتها على نفقة

الجامعة، إذا فاهتمام الشاعر بالقضية العربية لم يكن اهتماما عابرا في شعره بل هي قضية يحملها معه حيثما حل وارتحل، وقد ازدادت وتيرة القومية في شعر الوقيان بعد هذه الرسالة.

ثم صدر ديوان "تحولات الأزمنة" في طبعته الأولى عام ١٩٨٣م وقد كُتبت قصائده في مرحلة ازداد فيها اهتمام الشاعر خليفة الوقيان بالقومية والقضية العربية، فهذا الديوان هو ثاني ديوان يصدره الشاعر، وهو يمثل مرحلة ثانية من مراحل تعلقه بالقضية العربية، فتمثيل القضية العربية في هذا الديوان قد تضاعف عدة أضعاف عما كان في ديوانه الأول، فمجموع قصائد هذا الديوان ست عشرة قصيدة شكلت القصائد المتعلقة بالقومية منها خمس قصائد قد جعلها أول القصائد في ديوانه مما يدل على أهميتها عنده، وهي (تحولات الأزمنة) و(الخفافيش) و(أغنية لبغداد) و(إلى أبي يعرب) و(القضية).

كما أنه قد أشار إلى القومية في مقدمته للديوان فنراه يقول (إن كل القوى المعادية لا تستطيع أن تصل إلى تحقيق بعض ما يحققه من كفروا بطاقات أمتهم ... ونحن لا نلوم الذين يكفرون بطاقات الجماهير العربية، والذين ينهارون ويشيعون الانهيار، لأن المشكلة تكمن في ضعف عقيدتهم القومية، ولكننا نلوم النقد حين يبارك نهجهم المدمر، وقواهم الخائرة ... وبذلك يبتعد الشعر شيئا فشيئا عن تأدية دوره المتوقع في خدمة قضايا الأمة)[10].

والقصائد القومية المكتوبة في هذا الديوان كلها قد كتبت ما بين عامي ١٩٧٦-١٩٨١م، وصدور الديوان كان في عام ١٩٨٣م، وعلى ذلك فيمكننا القول بأنها تمثل نظرة الشاعر للقومية في ما بين ١٩٧٦-١٩٨٣م.

وأقدم قصيدة قومية كتبت في هذا الديوان هي قصيدة "القضية"[11] التي كتبت عام ١٩٧٦م وفيها نجد الوقيان يحذر العرب من الخطر الإيراني متمثلا في الثورة الخمينية، وإن لم يصرح الشاعر باسمها، فهو يصفها وصفا يغني عن تسميتها، وهو يرى مقدماتها ويشعر بإرهاصاتها، فيكتب هذه القصيدة كأنها صرخة نذير يحذر قومه من "القضية" القادمة بعد قضية فلسطين التي سبق وان كتب عنها، وهو يراها ثورة وثنية لا إسلامية في إشارة منه على عبادتهم للقبور فيقول:

(كم "أبي جهل" على أوثان شرك .. عاكفا،يرعى الطقوس الوثنية)

ثم ينتزع لهم صورة يستدعيها من التاريخ، وهي صورة بابك الخرمي فيقول:

"وأرى "بابك" في الحفل سعيدا يحتسي نخب انتصار " الخرمية

و"بنو العباس " في كل سرير يعشقون الأرض! كأسا وصبية

فهو يرى تطابقا بين واقع اليوم وواقع الأمس يوم خرجت الدعوة الخرمية دعوة بابك الخرمي من إيران ضد الخلافة الإسلامية العباسية، واستمرت عشرين عاما تضعف الدولة العباسية وتتعاون مع أعداء الخلافة لإسقاطها، وكانوا يظهرون التزامهم بأحكام الإسلام، وكانوا يبنون المساجد للمسلمين، ويعلمون أولادهم القرآن، لكنهم لا يصلون في السر، ولا يصومون رمضان، ولا يجاهدون الكفار، وإنما قتالهم يكون لأهل الإسلام، فهو يشبه اتباع الثورة الخمينية بهم، ويشبه واقع غفلة حكام المسلمين اليوم عن الخطر الإيراني بواقع الدولة العباسية ورموزها في ذلك الوقت، فهو يرى تشابها بين "الخميني" الزعيم الديني الفارسي الذي بدأت تنتشر دعوته وقت بداية القصيدة وأخذ الشاعر يحذر منه تلميحا، وبين "بابك

الخرمي" الزعيم الديني الفارسي الذي أضعف الخلافة العباسية وأوقف توسعها بحروبه ضدها وثورته ثم تمكنوا منه بعد ذلك بصعوبة، فهو يبين بأن الثورات يسهل القضاء عليها في بداياتها، وأن انشغال الحكام باللهو تشبه غفلة العباسيين ولهوهم الذي أدى إلى ضعف حكمهم وسقوطه

ثم ينتقل إلى صورة تاريخية أخرى متعلقة كذلك بالتساهل بالخطر الفارسي، فهو يذكرنا بواقع الخلفاء العباسيين وكيف ارتموا في أحضان الفرس وكيف كان ذلك سببا رئيسيا في سقوط خلافة بني العباس، فيصور كيف مكن بعض خلفاء بني العباس البرامكة من مقاليد البلاد، بسبب غفلتهم وانشغالهم باللهو والسمر معهم حتى تمكنت "السيوف الأعجمية " فصارت هي التي تحكم العرب في ظل خلافة اسمية للعرب، فيقول في ذلك:

("وبنو العباس" في أحضان "يحيى" كالدمى تسقى الكؤوس "البرمكية"

فترى العرش بأجفان السكارى قائما بين السيوف الأعجمية)

ويستمر في ذكر الشواهد التاريخية لتمكين الفرس من الدولة العباسية والذي أدى لسقوطها، محذرا من تكرار ذلك الخطأ، فيذكر ابن سهل وهو يشير إلى الوزيرين الفضل بن سهل ذو الوزارتين والحسن بن سهل لكنه عبر عنهما بشخصية واحدة؛ لأنهما صورة واحدة لمعنى واحد، كما يشير للوزير أبي الفتح بن خاقان، ويصور كذلك لهو الحكام بالقينات والغلمان والإماء وانشغالهم عن القيام بالدولة، فهو يذكر الأسباب الحقيقية لسقوط الدولة العباسية ويحذر من تكررها في مجتمعنا إذا تخلينا عن قوميتنا ومكنا الأباعد منا، فيؤكد من خلال هذه الصور على الهوية القومية فيقول :

(وترى المجد كما يهوى " ابن سهل "و"ابن خاقان"، صروحا خزفية).

ويؤكد على أن أسباب ضعف الدولة العباسية واضمحلالها هو تمكن الفرس فيها من مقاليد الحكم ومقدرات البلاد ويسقط ذلك على الواقع المعاصر، ثم نراه يسحب صورة سقوط الدولة الأموية بسبب غفلة الخلفاء والأمراء فيحذر من تكرر ذلك، مُذكرا بما حصل للدولة الأموية عندما صم الساسة والخلفاء آذانهم عن الناصحين ك"ابن سيار" والي خراسان الذي حذرهم فلم ينفعهم التحذير بسبب غفلتهم فيقول :

(وكأني بابن سيار ينادي من "خراسان" الجموع اليعربية : ليس هذا زمن الحلم فهاتوا غضبة من غضبات مضرية)

وهو هنا يصور ابن سيار يركز على قضية العروبة فجعل نداءه للقومية العربية، ولم يكن نداء ابن سيار في الواقع كذلك وإنما كان نداءه للحكم الأموي لا العربي فبنوا العباس هم عرب كذلك، وإنما حملت الشاعر قوميته على رسم هذه الصورة، لذلك نراه يستدرك ذلك الفرق في المقطع الذي يليه فيقول :

(شيع شتى، أبصر فيهم عزم شيبان، ولا الروح الأبية

دينهم أن يقتل العرب وليس الخطب أن تفنى العروش الأموية

همهم أن يعمر البغي وما من شأنهم نشر البنود العلوية)

فهو في هذه الأبيات بين الفرق بين ثورة العباسيين وهذه الثورة، فثورة العباسيين كان همها إقامة الحكم في بني العباس وإفناء العروش الأموية، أما هؤلاء فدينهم قتل العرب لا كما يدعون أنهم يريدون الثأر من قتلة الحسين –رضي الله عنه–، وليس من شأنهم نشر سنة علي –رضي الله عنه–، وإنما اتخذوها ستارا لشعوبيتهم.

ونراه هنا قد أفصح عن من يعني التحذير منه (شيع شتى) فهو ينتقل من التحذير من الفرس إلى التحذير من التشيع، ويظل الشاعر إلى آخر القصيدة مستمرا بالتحذير من الشعوبية الفارسية والأطماع الإيرانية الخمينية، في الوقت الذي اشتد فيه بروز الحركة الخمينية، وظهر لها تعاطف واضح وتولاها جماعات في البلاد الإسلامية، فكانت النزعة القومية عند الوقيان تدعوه للتحذير منها فجاءت هذه القصيدة، وقد استخدم فيها الكثير من الرموز التاريخية والاشارات العقدية .

ثالثا: قصيدة الوقيان إلى أبي يعرب، وقصيدة أغنية بغداد:

تأتي بعد ذلك قصيدة الوقيان (إلى أبي يعرب)[12]،وهي قصيدة قد كتبها إلى شاعر العروبة شفيق الكمالي من وحي قصيدته :

(أستنطق السيف أم أستنطق القلما شعرا أخط القوافي أم أخط دما)

وقد أرسلها إليه – كما أشار بهامش القصيدة– سنة ١٩٨٠م أثناء اتساع أعمال التخريب والاعتداءات الايرانية ضد القطر العراقي الشقيق، وقبل أن ينهض الجيش العراقي لصد العدوان.

وقد بدأ قصيدته بمدح الكمالي، فكان مما مدحه به أصالة العروبة التي يراها متوارثة من يعرب فيقول :

أم أن يعرب ما انفكت أصالته تسدي إليك – وإن طال المدى – شيما

ويظل يمدح الكمالي وقصيدته، فيختار أن يخاطبه بكنيته لتعلقها بالعروبة، ويذكر شجنه وهمه وجرحه الذي نكأته قصيدة الكمالي، همه الثقيل الذي يحمله، هم الخليج العربي، فهو يشعر بخطر يهدد الخليج، فيقول :

(ويا أبا يعرب أيقظت بي شجنا ورحت تنكأ جرحا قط ما التأما

لي في الخليج هموما لو أحملها رضوى[13] لناءت به هاماته سأما)

ثم يحدد مصدر الهم والخطر، الخطر الإيراني الذي يرمز له بديانة الفرس في الجاهلية، فهو لا يرى فرقا بين اليوم والأمس إلا فرق أسماء لا مسميات، وهو يرى الثورة الخمينية ثورة مجوسية لا إسلامية، فيصور حركة أتباع الثورة الخمينية بنار المجوس الموقدة في أرض الخليج العربي أرض الطهر التي نزل في الوحي، ولكن ليس هناك من يصدها، فليس عندنا مثل الخليفة العباسي المهدي أو حفيده المعتصم .

ثم يتذكر ابن سيار، كما ذكره في قصيدة "القضية" فصورته محذرا لا زالت ماثلة أمامه، ثم يذكر انتصارات الإسلام على الفرس متحسرا على ذهاب تلك الأيام، فيذكر ذات السلاسل في كاظمة، وبطولات خالد بن الوليد –رضي الله عنه–.

ثم يختم القصيدة بنبرة متشائمة، فهو لا يرى أحدا يتجاوب مع صيحات المحذرين، فالكرَّة قد انقلبت على العرب إن لم يتداركوها، وهو يخشى من رجوع إيوان كسرى ظاهرا على الخليج العربي كما كان قبل الإسلام فيقول:

(كأنني أبصر الإيوان ثانية يطل فوق خليج العرب مبتسما)

ومن قصائده كذلك التي كتبها عام 1980م قصيدته "أغنية لبغداد"[14]، وهو يمدح في هذه القصيدة "بغداد" فقد أصبحت في تلك الفترة بغداد رمزا للعروبة؛ لأنها عاصمة العراق التي تخوض حربا بين العرب والفرس، فهذه القصيدة تعد من أولى القصائد التي كتبها الوقيان دعما للعراق في حربها ضد إيران.

يبدأ الشاعر القصيدة بتدبيج المدائح لبغداد، وتمجيدها والإعلاء من شأنها فهي (الوجد المصفى) وهي (توائم التاريخ)، وغير ذلك من التشبيهات التي أسبغها عليها، وجعلها ترفل فيها.

ثم ينتقل الشاعر إلى ذكر الظلام الذي بدأ يحل ليغطي الصباح، والخطوب الدامية التي تسعى للقهر والإذلال والظلم، والتي لا ينبغي السكوت عنها، فالحلم أمامها ضعف، والغضبة التي تبددها لا تحتمل الإرجاء والتأجيل، وهنا تبدوا بغداد إعصارا لحتفهم، والشاعر يتفنن باستخدام الرمزيات، فهو في هذا المقطع لم يصرح بالوقائع وإنما استخدم أسلوب الرمز ليعبر عن مشاعره تجاه الحرب العراقية الإيرانية.

واستمر الشاعر يذكر بطولات بغداد التي تحيي عصر المكرمات، وضرب لذلك مثالا بحرب القادسية فالعدو نفسه، كما صور الوقيان التضحيات التي بذلها المسلمون في القادسية، وصور الشاعر العدو بأنه لا يزال يحمل حقد معه من مواجع التاريخ، فأتى ليردها في حزيران، فيقول:

بالقادسية تنبت ال عزمات إصرارا وزحفا
بقوافل الشهداء تن تعل الردى صفا فصفا
تردي حزيران القدي م وقد تلون أو تخفى
وأتى يجر مواجع الت اريخ أحقادا ونزفا)

ثم ختم الشاعر القصيدة بالاعتذار من بغداد، يعتذر لها من عدة أصناف من العرب، منهم صنف (ألفوا الهوى لهوا وقصفا)، وقسم آخر (توهموا درب المنى نايا ودفا)، وقسم ثالث وصفه بأنهم (حناجر للذل) تشكك في قدرات العرب وتضعف من معنوياتهم، والقسم الأخير وهم الذين غدروا بالعروبة وخانوا الأخوة، لكن الشاعر لم ييأس فهو يرى كذلك أن هناك من وفى، وقام بحق العروبة ولم يخن.

رابعا: قصيدة الخفافيش، وتحولات الأزمنة والقومية العربية في ديوان "الخروج من الدائرة"

وفي عام 1981م كتب الدكتور خليفة الوقيان قصيدته" الخفافيش" [15]، وهي موجهة كما صدر في مقدمتها إلى المعلم صلاح الدين البيطار، يثني فيها على البيطار وينبه بها إلى الخفافيش التي تعادي العروبة فتتربص به وتسعى لاغتياله؛ لأنه أحد رموز القومية في تلك الفترة .

ولا بد قبل تحليل القصيدة أن نعرف صلاح الدين خير البيطار، فهو سياسي سوري سني ولد عام 1912م في دمشق لأسرة عريقة محافظة مشتغلة بالعلم الشرعي، فجده ووالده وأعمامه كلهم من شيوخ الإفتاء المعتبرين في دمشق، درس في فرنسا، ثم أصبح شغوفا بالسياسة وبالقومية العربية، ليكون المؤسس الثاني لحزب البعث العربي الاشتراكي بعد ميشيل عفلق، بعد فترة طويلة من كفاحه، شعرت السلطة السورية بالخطر منه فأرسلت من يغتاله في باريس.

يتضح مما سبق اهتمام الشاعر خليفة الوقيان بقيادات حزب البعث ودعمه لها بشعره في تلك الفترة، وهو هنا يصرح بذلك في هذه القصيدة فيقول في البيطار مثنيا عليه:

وكنت البعث تشعل في ال هشيم الرث ما همدا

فهو يبدأ هذه القصيدة بالمزج بين مدح البيطار وفكره، وبين تحذيره من الاغتيال وتنبيهه فهو يكرر لفظ (أفق)، لكنه يؤكد أن معتقد البيطار لا يستطيع أحد اغتياله (فالطعنة السوداء لا تغتال معتقدا)، لكنه يعتذر من البيطار من تطاول القاعدين عليه، ومجاهرة المنحرفين والمرتكسين الذين سماهم الشاعر ب (خفافيش الظلام)، ووصفهم بمناطحة العقيدة الصامدة، وسبيلهم لذلك السفسطة والحذلقة والجحود، والحسد الذي ورثوه من أسلافهم، ثم يوضح صورة من يقصدهم ويحذر منهم أكثر فهم (شعوبيون قد لبسوا ... عمائم حكمة وهدى) فهو يرى فيهم الشعوبية الفارسية وبغض العرب والتستر بشعار الدين، وهم يلبسون لبس العرب فلباسهم العمائم، وهم يظهرون خلاف ما يبطنون، شيرا بذلك إلى العمائم الخمينية.

ويستمر الوقيان بالاعتذار إلى صلاح الدين البيطار من تناثر شمل العرب وتقصيرهم، ومن نوازلهم التي تفتت القلب، ولكنه يرى في طماح البيطار التي انتفضت ما يؤرق ليل الراقدين، فيقول في ذلك:

صلاح الدين، عفوا إن تناثر شملنا بددا

وإن ألفيت نازلة تفت القلب والعضدا

فبعض طماحك انتفضت تؤرق ليل من رقدا

نراه يكرر مناداة البيطار في القصيدة باسمه (صلاح الدين) لا بكنيته أو اسم عائلته، بينما كان ينادي الكمالي في قصيدة (إلى أبي يعرب) بكنيته (أبو يعرب)، وهنا تظهر مقدرة الوقيان على توظيف الأسماء في خدمة النص، فهو في قصيدة الكمالي يوظف كنيته في النص لارتباطها بالعروبة، وهنا يوظف اسم (صلاح الدين) في النص لارتباطه الذهني بأمجاد المسلمين، فهو يخلق ارتباطا ذهنيا عند المتلقي بين صلاح الدين البيطار وصلاح الدين الأيوبي، فكأن البيطار امتدادا للأيوبي فهو يعتذر له من الواقع المعاصر وكأنه ليس جزءا منه.

بقي من الديوان قصيدة "تحولات الأزمنة"[16] والتي سمي الديوان باسمها، وقد كتبت في عام 1981م، فجاءت في وقت اشتداد الحرب العراقية الإيرانية، وقد تفوق الشاعر فيها بتصوير الخطر الفارسي على العرب وأطماعهم في الجزيرة العربية قبل التاريخ الإسلامي، والصراع العربي الفارسي في الجاهلية، فهو يراه صراعا عنصريا متجذرا عبر التاريخ ويسقطه على واقع اليوم محذرا ومنذرا.

وقد قسم الشاعر القصيدة إلى خمسة أقسام؛ أربعة أزمنة وخاتمة، والأزمنة التي ذكرها هي الترابي والرصاصي والنحاس والخلاسي، فالزمان الأول يمثل النتيجة النهائية حيث صورة الانحلال، فالتراب هو الحضيض، وثم تتداخل صور التاريخ الماضي والحاضر ليكون الزمن الرصاصي، وأما الزمن النحاسي فيمثل لحظة الضياع والعجز، وهو يقود إلى الزمن الخلاسي زمن العبودية والذل.[17]

بدأ بالزمن الترابي وكأنه يشير به إلى زمننا الحالي فهو يصور الصحف التي تقيء فيها الأرض أحزانها والواقع الذي يقوم على الثرثرة والاختيال: كالطواويس في الظاهر، والذل الذي يكون باحتضان الجلاد كالذبيحة .

ثم ينتقل إلى الزمن الرصاصي الذي يستدعي فيه صورا تاريخية لكنه يغير فيها ساخرا من الواقع العربي الفارسي، فجاء بصورة القائد العربي نبوخذ نصر الكلداني الذي غزا اليهود في القرن السابع قبل الميلاد ودمر مملكتهم وساق سبعين ألفا من السبي إلى بابل، وصورة (قورش) الملك الفارسي الذي حكم فارس في القرن السادس قبل الميلاد الذي غزا بابل ثم حرر السبي اليهودي فيها وأعادهم إلى بابل، فأصبح معظما عند اليهود إلى يومنا، لكن الشاعر خليفة الوقيان يعكس الصورة فيجعل قورش يرتدي العمة العربية، يقود الجحافل الإسلامية لتحرير القدس، ويقتاد الأسرى اليهود إلى بابل العربية، ويبقى نبوخذ نصر يرقب كيف يدور الزمان، فهو هنا يسخر من الثورة الخمينية التي تدعي أنها حامية حمى الإسلام، وأنها ستحرر القدس، وأنها ستقود المسلمين إلى ما فيه عزهم ورفعتهم على الأمم، يسخر منهم ذاكرا تاريخ الفرس مع اليهود ضد العرب قبل الإسلام، وهو كذلك يسخر من الواقع العربي الذي لا يزال يرقب دون أن يحرك ساكنا.

بعدها يذكر الشاعر الزمن النحاسي و يصور فيه سيف بن ذي يزن الذي استعان بالفرس لإخراج الحبشة من أرض اليمن قبل الإسلام، فأعانوه وحصلت المعركة التي انتصر فيها سيف بن ذي يزن بمعونة الفرس بقيادة "وهرز"، و كانت الحبشة بقيادة "مسروق بن أبرهة"، ثم غدر الفرس فحكموا اليمن بعده، وأذلوا العرب، فالشاعر هنا ينتزع تلك الصورة للواقع ولكنه يغير المكان، فبدل اليمن تكون القدس، فهو هنا يحذر من الاعتماد على الدولة الإيرانية في مواجهة اليهود حتى ما يتكرر ما فعلوه مع سيف بن ذي يزن [18].

وأما الزمن الخلاسي عند الوقيان فهو الزمان الذي (تغتال أسماءها الأحرف اليعربية) وهو يشير إلى ما يحصل في الأحواز العربية من محاربة السلطة الإيرانية للعروبة وكل ما يمت لها بصلة، وفي الزمن الخلاسي (يشكو "الإيادي" من عدل الإمام "ابن شروان") فهو يشير إلى رسالة لقيط بن يعمر الإيادي الذي أرسل رسالة إلى قومه –وكان كاتبا لكسرى – ينذرهم بأن كسرى قد وجه جيشا لقتالهم، فلما علم كسرى بذلك قطع لسانه وقتله [19]، فكان رمزا للقومية فهو أول من فدى نفسه في سبيل حرية العرب وكرامتهم، فالوقيان يصور المستضعفين من العرب في إيران بصورة الإيادي الذي يشكو من كسرى، لكنه يرمز لكسرى اليوم ب(الإمام)، فهو يرى أن الخميني صورة أخرى لكسرى لكنها لبست لبوس الدين .

ثم يختم الكاتب القصيدة بالاستهزاء من الثوار الذين خرجوا مؤيدين للثورة الخمينية التي تمثل للكاتب المجوسية والمانوية والعنصرية الفارسية، متدثرة بلباس الدين واللحى والعمائم فيقول:

(هنيئا لثوارنا في ثغور العواصم ليقيمون صرحا
من الخزف الفارسي المنمق يبوسون كل اللحى والعمائم
يسلون سيف الكرامات والمعجزات
يعيدون مجد الرقى والتمائم يصلون في معبد النار
يمشون في ركب ماني ليوم الخلاص).

وتكتمل عند ذلك صورة القومية في ديوان "تحولات الأزمنة"، فهي قومية عربية محذرة من الفرس وأطماعهم في الخليج، تكشف عن خطر التشيع الخميني الموجه ضد العرب، ويحاول الشاعر إيقاظ العرب من غفلتهم مستلهما العبرة التي يستدل عليها بصور كثيرة يستلهمها من التاريخ، ويظهر إلمام الوقيان بتفاصيل تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده التي استخدمها كرموز، وقد ساعده ذلك على تصوير تلك الحوادث بدقة متناهية، إذا فالقومية في هذا الديوان، قومية ضد الفرس أشعلتها الأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة، وكان الوقيان – في هذا الديوان– داعما لحزب البعث الاشتراكي، وداعما للعراق في حربه ضد إيران بوضوح وصراحة .

ويستمر نبض القومية في هذا الديوان والديوان الذي يليه في اتجاهها الإيجابي القائم على المشاركة الفعالة في الأحداث والمشكلات العربية، ومحاورة مختلف التيارات التي تعترض طريق العروبة.[20]

القومية العربية في ديوان "الخروج من الدائرة"

صدر ديوان "الخروج من الدائرة" عام 1988م، وهو ثالث ديوان لخليفة الوقيان، ويشمل القصائد التي كتبها بين عامي 1983، و1988م، اشتمل الديوان على خمس عشرة قصيدة ظهر نفس الوقيان القومي فيها واضحا في ثلاث قصائد وهي (في البدء كانت صنعاء)، و(بغداد عفوا)، و(البشارة)، وجاء عرضا في قصيدة واحدة وهي قصيدة (هنيئا لكم)، والقومية في هذا الديوان تعد امتداد للقومية في الديوان السابق "تحولات الأزمنة"، إلا أن ظهورها هنا كان وسطا بين ظهورها في الديوان الأول والذي كان ظهورا خافتا مرتبطا بالمكان وبالقضية الفلسطينية، والديوان الثاني والذي كان ظهورها فيه أكثر عمقا وارتباطا بالتاريخ العربي، بينما جاءت القومية هنا إما متفائلة، أو محذرة من الخطر اليهودي الفارسي معتبرة إياه خطرا واحدا.

خامسا: ديوان الخروج من دائرة الصراع، وديوان حصاد الريح .

تطل علينا أقدم قصيدة قومية في ديوان "الخروج من دائرة الصراع"، وهي قصيدة "في البدء كانت صنعاء"[21] التي كتبها عام 1983م، ويبدأ الشاعر القصيدة بقوله : (كان لابد – في البدء – من وحي صنعاء) ثم يمضي في الثناء على صنعاء في بيتين ليعود فيؤكد بأن (إليها المآل)، فالوقيان يلتفت بحثا عن مخرج للعرب مما هم فيه، وهو يرى المخرج في القومية، فيبحث عن مراكز القومية في الوطن العربي ليدعمها بشعره ويذكي وهجها بنظمه، فلا يجد إلا صنعاء يستوحي منها معاني العروبة وبطولاتها، ويذكر في هذه القصيدة (مأرب) و(صرواح).

وينتقل الشاعر إلى صورة بلقيس ملكة سبأ، فيصورها مأسورة في القدس لابد من فدائها، فهو يرمز للعروبة ببلقيس، التي يراها مأسورة عند اليهود، وطريق فكاكها وفدائها لا بد وأن يمر بالقدس، كما يصور أروى الصليحي التي حكمت اليمن وكانت لها بطولات، فالشاعر يرى أنه لابد من الاحتذاء بدربها للخلاص من الواقع المزري .

ثم ينقل الشاعر الصورة إلى الفرس كعادته فيصور بطولات العرب في معركة (ذي قار)، ويستدعي صورة دول اليمن المتعاقبة قبل الإسلام وهي (سبأ) و(معين) و(أوسان)، وهو يرمز للعروبة بها، فيرى أنها لابد أن ترجع (كي تستعيد العروق الدماء ... التي نزفت فوق "صبرا")، يعني بذلك مجزرة صبرا وشتيلا التي قام بها اليهود بالتعاون مع مليشيات لبنانية مسيحية وحركة أمل الشيعية في عام 1982م ضد اللاجئيين الفلسطينيين العزل، والتي سقط فيها آلاف

الأبرياء، والشاعر هنا يجمع بين تحذيره من الشيعة – الذين يرمز لهم بالمجوس أو الفرس أو بكسرى – ومن اليهود في سياق واحد، ثم يعترض الوقيان على ردة فعل العرب من الأحداث والمجازر التي يقصد بها استئصالهم، والتي كان أقصى ما فعله العرب عندها العرائض والشكاوى، ولكنه يتفاءل بأن عودة العرب إلى مجدهم قادمة ولابد من صنعاء قائلا:

كان لابد...لابد... لابد... حين الدماء استحالت عويلا

عرائض شكوى كان لابد من نبض صنعاء)

ويختم الدكتور الوقيان القصيدة بتأكيد على أننا سنعود إذا انحرف الركب سنعود لنقيمه من وحي صنعاء ونبضها وضوءها، وقد كتب الدكتور خليفة قصيدة أخرى في العام نفسه عن صنعاء، ونشرها في الديوان نفسه، إلا أنها كانت تتحدث عن الطبيعة في صنعاء، وعن جبل اللوز في خولان، ولذة اللوز وجماله، فلم تكن قصيدة قومية تصلح لأن تُضمن في هذه الدراسة.

ثم تأتي قصيدة "بغداد عفوا..."[22] والتي كتبها عام 1987م، وهي مشابهة لقصيدته التي كتبها في ديوان "تحولات الأزمنة" عام 1981م، والتي عنونها ب(أغنية لبغداد)، فهي مشابهة لها بالأسلوب والمحتوى، فكأنها ابنتها أو أختها الصغرى، فهو يبدأ القصيدة بالتأكيد على أن المشاعر الحقيقية لابد وأن تظهر على الأقوال والأفعال، ويذكر تضحيات العراقيين وبذلهم الذي عبروا به حقيقة عن مشاعرهم، فلم يكتفوا بالأقوال، وأخذ يثني عليهم، ثم أخذ يعتذر لبغداد كما كان يعتذر في قصيدته التي أشرنا إليها آنفا فيقول :

بغداد عفوا للألى خنعوا فهوى المكارم مركب صعب

ويصف الخانعين الذين يعنيهم فيقول :

وتفرقوا شيعا وآنسهم أن المذلة مورد عذب

عجم الضمائر ليس يغضبهم أن تستباح بأرضها العرب

فهو يصرح هنا بمن يقصدهم من الخانعين وهم شيعة العرب الذين اتبعوا الفرس وتنكروا لعروبتهم، فهو يصفهم بعجمة الضمائر والذلة والخنوع، ويعتذر لبغداد منهم، ثم يختم القصيدة بنداء يوجهه لبغداد؛ أنه ليس هناك سواها من ينصر العرب في زمن ضعف الهمم، وأنها لا تزال تضيء للعرب طريقهم منذ عهد بابل، في إشارة منه إلى حروب بختنصر وانتصاره للعرب، وأنها هي حامية الثغور عبر التاريخ، ويستشهد لذلك بالخليفتين العباسيين المنصور والمعتصم، ويؤكد لبغداد أن هذا قدر قد بليت به (ومكرمة أن يبتلى بمفاخر شعب) فهو ينهي القصيدة بالثناء على شعب بغداد .

وقد أشرقت في هذا الديوان صورة التفاؤل في قصيدة "البشارة"[23] التي كتبها الشاعر عام 1988م، يستبشر فيها بقرب الانتصار على اليهود وعلى الفرس، فيبدأ القصيدة بتصوير الأرض والنخيل وهي تهاجم اليهود، ويعدد المناطق الفلسطينية التي يرى أن ذلك سيحصل فيها فيذكر (القدس)و(ميسان) و(غزة) و(الجليل)، لكنه يرى هذه الصورة مرتبطة بالبعث العربي فيقول: (يعمد الدم مهرجان البعث) .

ويصور القسام وأطفال الحجارة وهم يستبشرون، كما يستلهم سعد ابن أبي وقاص –رضي الله عنه– وانتصارات القادسية التي يراها ستتكرر ف(ينهار بيت النار) في إشارة إلى ديانة الفرس القديمة وعبادتهم للنار، فهو يرى التاريخ

كالواقع لا يتغير، وهو هنا يخلط صور البشارة بالانتصارات على الفرس واليهود، ويوظف الرمزية في تصوير انهدام هيكل اليهود وإيوان كسرى، ويؤكد على تشابه الفرس واليهود، وأنهما وجهان لعملة واحدة، فيشبههم بوجهي وعل قائلا:

وجهان للوعل البليد يناطحان الصخر

في بغداد في الأقصى يكسر قرنه الوعل البليد

ويؤكد بعد ذلك على البشارات، فهو يرى أن هذا الزمان زمان تسقط الأوثان فيه، ويعود به العرب – وقد رمز لهم بحرف الضاد – إلى الخليل، لتصبح العربية شعارا له .

وقبل أن ننهي الحديث عن هذا الديوان، لابد من الحديث عن قصيدة "هنيئا لكم"[24] والتي جاءت تفاعلا مع حادثة اختطاف الإرهابيين لطائرة كويتية عام 1988م، وقتلهم اثنين من ركابها، واحتجازهم بقية الركاب ستة عشر يوما،[25] وهذه القصيدة وإن كان موضوعها ليس قوميا، إلا أن نفس الشاعر القومي ظهر في خاتمتها، مهاجما أتباع الخميني الذين قاموا بهذه العملية وبغيرها من الجرائم في الوطن العربي، والتي عدد بعضها الوقيان بقوله:

أباحوا حمى القدس... شبوا ببيروت كل الحرائق.... أراقوا على كتب المدرسة.... دماء الصغار.... ببغداد في أم قصر.... أصابوا زهور الحدائق ... أغاروا على مشتل الورد ..... في هضبات الجنوب ... أقاموا صروح المشانق.

ويظهر لنا من خلال الأبيات حضور الدول العربية ومصابها في ذهن الدكتور خليفة الوقيان وقلبه، فهو يستحضر دائما القدس وبغداد على الدوام عند حديثه عن القومية في تلك الفترة، ويستحضر غيرها بحسب الموقف، كما تظهر قومية الشاعر في هذا الديوان موجهة بوضوح ضد الأطماع الإيرانية في المنطقة وضد اليهود، فالقضية الفلسطينية لا تكاد تغيب عن باله.

القومية العربية في ديوان" حصاد الريح ".

صدر ديوان "حصاد الريح" في طبعته الأولى عام 1995م، وهو رابع ديوان للدكتور خليفة الوقيان، ويشمل القصائد التي كتبها بين عامي 1990 و 1995م، وقد اشتمل الديوان على ثلاثة عشر قصيدة، وقد جاءت فيه القومية العربية بصورة أخرى غير التي اعتدنا أن نراها في شعر الوقيان في الدواوين الثلاثة الماضية، وذلك يرجع لصدمة الشاعر من الغزو على الكويت، فقد غير فيه الكثير من المفاهيم والآراء التي كان يعتقدها ويدعو لها، فبينما كان الشاعر في الدواوين السابقة يفرد قصائد يمجد فيها العروبة ويدعوا لوحدة العرب، ويمدح حزب البعث العربي الاشتراكي، وقصائد يدعم فيها العراق في حربها ضد إيران، ويعتذر لبغداد من تخاذل العرب، ويهاجم الفرس التشيع والعجمة، ويتغنى بالمدن العربية، وينافح عن القضية الفلسطينية، ويحمل هموم العرب بين جنبيه، بينما كان تلك هي الصبغة الغالبة على شعر الوقيان تجاه العروبة والقومية في شعره قبل الغزو على الكويت نجد هنا تحولا كبيرا في ذلك، فقد تخلى عن كثير من مواقفه التي ذكرناها آنفا، وسنعرض لذلك كله بالتفصيل مفرقا في ثنايا حديثنا عن القصائد الثلاث في هذا الديوان التي ورد فيها ذكر العروبة.

بداية تطل العروبة في هذا الديوان في قصيدة " برقيات كويتية"[26] التي كتبها الوقيان إبان الغزو على دولة الكويت عام 1990م، بدأها بذكر الدماء والدموع المسكوبة على تراب الكويت التي يذكر بأنها أنارت فكر الشاعر وأرته حقيقة المعتدين التي كان يجهلها، وكان يصور وحشية المعتدين، وانعدام الإنسانية والمروءة فيهم، والوحشية التي فيهم تجاه الأطفال والمرضى، ثم أخذ يوجه حديثه للمعتدين ويذكرهم بالعروبة التي لم يراعوا حقها، العروبة التي يتغنون بها ويحكمون العراق باسمها باسم حزب البعث العربي فيقول :

(أيها القادمون مع الليل... إن العروق التي نزفت... فوق رمل الكويت لم يكن نبضها.... غير خفق العروبة....في كل بيت).

فهو لا يخاطبهم باسم العروبة، بل يخاطبهم بما يشبه خطاب اللصوص القادمون مع الليل، ويذكرهم بعروبة الكويتيين ومواقفهم تجاه العروبة، ثم يكمل حديثه بتذكيرهم بالقومية العربية التي أسسوا حزب البعث العربي لأجلها، فيخاطبهم بمصطلحات حزب البعث، أعني مصطلح (رفيق)، وهو مصطلح قد اعتاد أعضاء حزب البعث أن يتنادوا به فيما بينهم فيقول: (قل للرفاق)، فيذكرهم بالبعث والقومية، وبما مضى من دعم الكويتيين للقومية، ووقوفها سندا لهم في الحرب العراقية الإيرانية، ثم يذكرهم بالقضية الفلسطينية التي كانوا يتشدقون بها فيقول: (الدرب نحو القدس سالكة ... فكيف عبرتموه نحو الجنوب) ويعجب من المعتدين متسائلا هل أنتم أحفاد المعتصم أم نسل هولاكو؟ وكأنه بذلك يعلن تراجعه عن ما سبق وأن وصفهم به في قصائده التي كان يدبجها بمدح العراق وأنهم رموز العزة في الأمة الإسلامية وأولاد الخلفاء العباسيين المهدي والمنصور والمعتصم، ويراهم امتدادا للتتار أعداء الأمة الإسلامية، ثم نرى الشاعر يكرر متألما ومتحسرا خيانة المعتدين للعروبة واستباحتهم لدمائها، وتخليهم عن القضية الفلسطينية، ثم يختم القصيدة بتكرار مخاطبتهم ب(قل للرفاق) هازئا من عروبتهم، وكافرا ببعثيتهم التي كان يدعمها قبل ذلك بوضوح .

تأتي بعد ذلك قصيدة "وكر الصقور"[27] التي كتبها عام 1992م، والتي يبدأها بمدح الكويت والتغني بجمالها وذكر مشاعره تجاهها، لينتقل بعد ذلك إلى تساءل عن الغزاة الذين يراهم (أفاعيا وعقاربا) فيسأل من هم؟، وهو يعرف الإجابة، فهو يسأل ليجيب، ولهذا الاستفهام غرض التنكير المقصود منه التحقير وليمهد لنفي العروبة عنهم بعد ذلك، فهم نكرات في نظره.

ثم صور الشاعر غدر المعتدين، واستنكر أن يكونوا عربا، فهو يرى أن أفعالهم تنفي العروبة نفيا قاطعا، بل هم أدعياء للعروبة ثم يقول :

(تأبى العروبة أن تكون مطية... للغاصبين وللطغاة مخالبا...نحن العروبة جذرها وفروعها

وبنا تكون مفاخرا ومناقبا... لو لم تكن أرض الجزيرة حضنها....لم تستقم في المشرقين مذاهبا).

فالعروبة لا تزال في قلب الشاعر يؤكد عليها ويفاخر بها، ولكن مفهومها اختلف عما كان عليه من قبل، فبعد أن كانت بغداد هي رمز العروبة، انحصر مفهوم العروبة والقومية عند الشاعر في الجزيرة العربية، ونفاها عن العراق، لينتقل الشاعر إلى الفخر بأن الدعوة الإسلامية انطلقت من الجزيرة لهداية العالم، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– من

أهل الجزيرة العربية وكذلك الصحابة، ثم ختم الشاعر الحديث عن العروبة في القصيدة باستنكاره لاستطالة المعربين الفساق الذين ترهبنوا كذبا.

وقد بدت قصيدة "وكر الصقور" وكأنه كتبها تكفيرا عن قصيدتيه اللتين كتبهما مدحا تمجيدا في بغداد العراق، فقد نقض فيها بعض المعاني التي أثبتها هناك، كما أنه ذكر فيها كلمة "الألى" والتي كان يكررها كثيرا في قصيدتيه المشار إليهما آنفا، ولم يكن يكررها في باقي القصائد، وقد استخدمها هنا بعكس استخدامها هناك، فبينما كانت هناك لتعظيم بغداد، نجدها هنا للفخر بأهل الجزيرة العربية على أهل العراق الذين صار يعدهم الشاعر عجما بعدما كانوا معظمين.

ثم تأتي قصيدة "إشارات"[28] التي كتبها الشاعر عام 1992م لتكمل صورة العروبة والقومية العربية عند الدكتور خليفة الوقيان في هذه المرحلة، يبدأها الشاعر بذكر جرائم الغزاة المعتدين، وانتهاكهم لحرم البيوت والممتلكات والدماء والأعراض والطفولة، ويصورهم وهم يقتحمون بيته، وتفتيشهم لكل ركن في بيته، متعجبا عما يبحثون، ومصرحا بأنه لا يخبئ في حضن بيته وفي قلبه وفي صدر طفله (غير العروبة عشقا قديما ... وهما مقيما)، فالشاعر يؤكد على عدم تخليه عن العروبة، فهي عشقه القديم والمتجدد الذي يورثه لأجياله، فموقفه من العراق اليوم ليس تغيرا في مشاعره تجاه العروبة، ولكنه رأى – ونحن نخالفه في ذلك– أن هؤلاء لا يملكون من العروبة سوى اسما مزيفا، فهم معربون لا عربا خلصا إذ لو كانوا عربا لم يسفكوا الدماء اليعربية، ثم يؤكد الشاعر ذلك بموقف آخر، يوم اختطف فيها الغزاة ابنة جارهم، ثم رموا بتلك الصبية مشطورة الوجه مثقوبة الرأس مقطوعة الكف، ويتساءل الشاعر:

(ماذا جنت زهرة يانعة...تضوع في كل ساحة المدرسة: –"تحيا الأمة العربية "

تردد الزهيرات في صيحة حاشدة : –"تحيا الأمة العربية، تحيا الأمة العربية، تحيا الأمة العربية")

فالشاعر لا يزال يعيش صدمة الغدر متعجبا من تشدق المعتدين بالعروبة ثم انتهاكهم لحرمة العرب دونما ذنب، وينتقل بعد ذلك لصورة الشاحنات (التي تحمل العلم العربي الشقيق!!) لتسرق وتنهب الكويت ثم تعود من حيث جاءت، مستنكرا عدم مراعاتهم للعروبة والأخوة.

و يختم الشاعر القصيدة بذكر قابيل وهابيل ابني آدم، وكيف قتل قابيل أخاه هابيل حسدا وحقدا، ليسقط تلك الصورة على الغزاة، ثم يذكر يشير إلى خبر(سنمار...لما أقام الخورنق) (فوق ضفاف الفرات)، وقصة سنمار مشهورة ومعروفة في كتب التاريخ والأدب، وذلك أنه بنى للنعمان بن المنذر قصر الخورنق في الحيرة على أرض العراق، فلما أتمه وأحسنه بعد عشرين عاما من البناء، رماه النعمان من أعلى القصر خشية أن يبني مثله لغيره، فصارت العرب تضرب به المثل فتقول " جزاني جزاء سنمار" [29]، إذا قابل الإحسان بالإساءة لاسيما إذا كان من نفس باب الإحسان، فالشاعر يخلق تعانقا تاريخيا بين حادثة الغزو وبين غدر النعمان بن منذر، مشيرا إلى موقف الكويت من العراق قبل الغزو كيف ساندتها وساعدتها في حربها على إيران حتى إذا انتهت حربها مع ايران قلبت للكويت ظهر المجن فبادرتها العداء غدرا من غير ما جناية أو ذنب، ويلمح الشاعر إلى أن الخورنق كان على ضفاف دجلة، وكأنه يعمم الطعن في أهل العراق ليسمهم بالغدر على مر العصور، وهذا ما لا يوافق عليه.

الخاتمة، وبها أهم النتائج:

وبعد دراسة صورة القومية العربية في شعر الوقيان وبيان المنحنيات التي مرت بها في تسلسلها التاريخي خلال عدة عقود، في أربعة دواوين شعرية صدرت في أزمان متفرقة، منذ عام 1967م وحتى عام 1995م، وخلص البحث إلى جملة من النتائج من أبرزها: القومية العربية في شعر "خليفة الوقيان" على النحو المتقدم، ومقارنة النتائج التي توصل إليها الباحث بما هو مقرر في المنهج الوصفي المعاصر ظهرت للباحث النتائج الآتية:

أولاً: مرّت العروبة والقومية العربية في شعر الوقيان بمرحلتين مختلفتين؛

تمثل المرحلة الأولى دواوينه الثلاثة الأولى وقد ظهرت القومية فيها بأعمق معانيها وأجلها وأكملها، فتبدو العروبة والقومية فيها واضحة مع بداية نبوغه الشعري عام 1967م في قصيدته " في ذكرى وعد بلفور"، لتظهر آخر قصائده القومية عام 1988م في ديوانه الثالث " الخروج من دائرة الصراع" .

ثانيا: تبدأ المرحلة الثانية مع الغزو على دولة الكويت وتظهر في ديوانه الأخير، وفيها يستمر نبض العروبة في شعره إلى ديوانه الرابع والأخير "حصاد الريح" ممزوجا بالغصص التي ولدها الغزو، فتظهر العروبة لا بقصائد مستقلة كما كانت بل بقصائده التي يندد فيها بغدر الجار، وبشاعة الاعتداء، وتتبدل القومية من المعنى العام لها إلى معنى خاص بالشاعر، فالقومية أصبحت عنده خاصة بالجزيرة العربية، بعد أن كانت تعم العرب جميعا من المحيط إلى الخليج.

ثالثا: يظهر اهتمام الشاعر بالزمان، وتميزه باستحضار التاريخ وتوظيف الرموز التاريخية وربط ذلك كله بالقومية أو بالعروبة بأسلوب خبير بتاريخ العرب وعلاقاتهم بالأمم الأخرى، ويظهر ذلك في جميع دواوين الوقيان لا سيما ديوان "تحولات الأزمنة".

رابعا: ظهر اهتمام الشاعر بقضية فلسطين بصورة واضحة في جميع دواوينه، ومن أول ما كتب من القصائد إلى آخرها .

خامسا: بدا تعلق الشاعر بالمدن العربية في مرحلته الأولى، ففي ديوانه الأول ظهرت لبنان، ثم بغداد في ديوانه الثاني، ثم كذلك بغداد وصنعاء في ديوانه الثالث، وكان كأنه يرى أن مجد العرب سيعود من بغداد أو صنعاء حيث العروبة والقومية قد نضجت في هاتين المدينتين.

سادسا: خلت مرحلة الشاعر الثانية من ذكر المدن العربية، ليقتصر تعلق الشاعر في هذه المرحلة بالخليج العربي والجزيرة العربية .

سابعا: أطل دعم الشاعر لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ ديوانه الأول وحتى الثالث، ليتحول بعد ذلك بعد الغزو العراقي على الكويت في ديوانه الرابع إلى السخرية تعريضا بحزب البعث .

ثامنا: كان الوقيان في مرحلته الأولى يدعوا إلى وحدة العرب جميعا، مدافعا عن القومية العربية، داعما العراق في حربه ضد إيران، معتبرا العراق رمز العروبة معتذرا لها من تقصير العرب تجاه قضيتهم التي فيها رفعتهم وعزهم والدفاع عن حياضهم، ولم يقم أحد من العرب بهذه القضية سوى العراق التي خاضت الحرب ضد الفرس فهو يعتذر لها

من تخاذل العرب، ليعود في مرحلته الثانية منكرا عروبة العراقيين، فهم بنظره معربون يدعون العروبة، ودليل ذلك ولوغهم في الدماء اليعربية وانتهاكهم لحرمة العرب.

تاسعا: برز تحذير الشاعر العرب من الخطر الإيراني ومن التشيع والثورة الخمينية، واعتبارهما واليهود وجهان لعملة واحدة، فقومية الوقيان كانت ضد الفرس واليهود، برز ذلك كله بكثير من قصائده في ديوانه الثاني والثالث ليختفي ذلك في ديوانه الرابع .

عاشرا: كان للوقيان قصيدتان وردتا في ديوانه الثاني "تحولات الأزمنة" يثني فيهما على رمزين من رموز حزب البعث العربي الاشتراكي، أحدهما رمز سياسي وهو صلاح البيطار الرجل الثاني في الحزب، وشفيق الكمالي وهو شاعر من أشهر شعراء الحزب.

الحادية عشر: ظهرت قومية الشاعر بأوضح تجلياتها في ديوانه الثاني "تحولات الأزمنة"، فقد كان ينضح قومية، حتى مقدمة الديوان كانت مقدمة قومية كما أشرنا، ولو اقتصر به مع الديوان الرابع "حصاد الريح" في دراسة ملامح العروبة والقومية في شعر الوقيان لكفى .

الثانية عشر: بدت قصيدة "برقيات كويتية" في ديوان الشاعر الرابع "حصاد الريح " وكأنها تكفيرا عن قصيدتيه اللتين كتبهما مدحا وتمجيدا ببغداد، فقد جاء ببعض الصور التي ذكرها هناك لينقضها هنا، ويستبدلها بغيرها .

الثالثة عشر: فاض ديوانا الشاعر الثاني والثالث بتمجيد العراق ودعمها في حربها، بينما انقلب ذلك إلى الضد في ديوانه الرابع، وخلى منه ديوانه الأول.

الرابعة عشر: أصدر الدكتور خليفة الوقيان ديوانا عام 1996م أسماه "ديوان خليفة الوقيان مختارات " وقد جمع فيه أكثر شعره الذي جاء في دواوينه الأربعة، إلا أنه أسقط بعضها ولذلك أسماه "مختارات" ولم يسمه " الأعمال الكاملة" كما صرح بذلك في مقدمته، وقد تتبعت القصائد القومية التي أسقطها ولم يذكرها، فوجدته قد حذف القصائد التي مدح فيها العراق، أو حزب البعث أو أحد رموزه، فحذف من الديوان الثاني قصيدة "أغنية لبغداد" وقصيدة "الخفافيش" التي مدح فيه صلاح الدين البيطار المؤسس الثاني لحزب البعث، وقصيدة "رسالة إلى أبي يعرب" التي كتبها تمجيدا لقصيدة لشفيق الكمالي شاعر البعث، وقد حذف من ديوانه الثالث قصيدة "بغداد عفوا" و"البشارة" اللتين كتبهما للعراق، وأما ديوانه الأول فلم يحذف منه مما له تعلق بموضوعنا سوى قصيدة "عاليه" ويبدو أن سبب حذفها يرجع لتشابهها بقصيدة "بيروت" فكأن قصيدة "بيروت" أغنت عنها، أما الديوان الرابع فلم يحذف من القصائد التي لها تعلق بموضوعنا شيء، مما سبق يظهر لي أن الشاعر قد تخلى عن قومية البعث، وندم عليها، وبدلها بغيرها، لاسيما ما يتعلق منها بالعراق فقد تركه كله وتخلى عنه، وأصبحت القومية عنده هي الخليج العربي والجزيرة العربية فقط .[30]

Abstract

Arab nationalism in Kuwaiti poetry Khalifa ALwaqyan,isamodel

By Abdullah Khalid SAUd Alshwaird ALAmiri

This research seeks to Uncover The Meanings of Arabism and Nationalism IN The poetry OF khalifa AL-Waqian,taking into A CCount The chronology.

The researcher Collected Thepoets collections and arranged Them according to Chronological order,then arranged their poms related to Arabism,Beginning with the oldest, the newest,and so on, proceeding to analyze and study them one by one Explaining the relationships between them, highlighting the most Important features and Implications of them, revealing their historical and realistic Dimensions

Keyword: (Kuwait,Arabism,Nationalism,poetry,Divan,Harvest,wind)

الهوامش

[1] لسان العرب 368/8، وتاج العروس 436/21 .

[2] البزاز؛ عبدالرحمن، من وحي العروبة، ص70 .

[3] الحوفي؛ أحمد. القومية العربية في الشعر الحديث، ص8 .

[4] الجاسم؛ عزيز، نحو تحريفية أوسع للفكر القومي العربي، ص255.

[5] إدريس؛ نجمة. خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم، ص212.

[6] بدوي؛ عبده. تجارب وتطبيقات في الشعر العربي الحديث، ص255.

[7] ديوان المبحرون مع الرياح ص57.

[8] المصدر نفسه ص103.

[9] المصدر نفسه ص111.

[10] ديوان تحولات الأزمنة ص8–9.

[11] المصدر نفسه ص45.

[12] المصدر نفسه ص37.

[13] وهو جبل ضخم من جبال تهامة، أنظر البكري؛ أبو عبيد عبدالله. معجم ما استعجم، ص655.

[14] المصدر نفسه ص 31.

[15] المصدر نفسه ص 23.

[16] المصدر نفسه ص15.

[17] الشعر في الكويت ص215–216.

[18] البداية والنهاية، 573/2.

[19] انظر تفصيل ذلك في كتاب العلاقة بين العرب والفرس وأثرها في الشعر الجاهلي ص56.

[20] عصلة؛ أحمد بكري. خليفة الوقيان من الألف إلى الياء، ص130.

[21] ديوان الخروج من دائرة الصراع ص55.

[22] المصدر نفسه ص47 .

[23] المصدر نفسه ص39.

[24] المصدر نفسه ص79.

[25] المصدر نفسه ص79.

[26] ديوان حصاد الريح ص19 .

[27] المصدر نفسه ص37 .

[28] المصدر نفسه ص5 .

[29] مجمع الأمثال ص177.

[30] ديوان خليفة الوقيان مختارات ص 245-247.

المصادر والمراجع

1- **البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، بعناية عبدالرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، نشرته دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، عام 1998م .

2- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للمرتضى الزبيدي، نشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، طبع بمطبعة دولة الكويت، عام 1385ه .

3- **تجارب وتطبيقات في الشعر العربي الحديث**، لعبده بدوي، نشرته ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى،1997م.

4- **تطور الوعي القومي في الكويت**، لأحمد السقاف، نشرته رابطة الأدباء في الكويت، عام 1983م .

5- **خليفة الوقيان في رحلة الحلم والهم دراسة في حياته وشعره**، للدكتورة نجمة إدريس، نشرته دار المدى للثقافة والنشر، سوريا دمشق، الطبغة الأولى، عام 2002م.

6- **خليفة الوقيان من الألف إلى الياء دراسة في أدب الشاعر وشخصيته**، للدكتور أحمد بكري عصلة، الكويت، الطبعة الأولى، عام 2001م.

7- **ديوان الخروج من الدائرة**، لخليفة الوقيان، الطبعة الأولى، عام 1988م .

8- **ديوان المبحرون مع الرياح**، لخليفة الوقيان، نشرته دار الربيعان،الكويت، الطبعة الثانية، 1980م.

9- **ديوان تحولات الأزمنة**، لخليفة الوقيان، نشرته مكتبة دار العروبة، الكويت،الطبعة الأولى، عام 1983م .

10- **ديوان حصاد الريح**، لخليفة الوقيان، الكويت، الطبعة الأولى، 1995م.

11- **ديوان خليفة الوقيان مختارات**، نشره خليفة الوقيان، طبع بدار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1996م.

12- **الشعر في الكويت**، للدكتور سليمان الشطي، نشرته مكتبة دار العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، عام 2007م .

13- **العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي**، للدكتور مصطفى أبوشارب، نشرته دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، عام 1996م .

14- **القومية العربية في الشعر الحديث**، للدكتور أحمد الحوفي، دار النهضة، القاهرة .

15- **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، نشرته دار المعارف، القاهرة .

16- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل الميداني، تحقيق محمد عبدالحميد محيي الدين، نشرته المكتبة العصرية، لبنان، عام 2003م.

17- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لأبي عبيد الأندلسي، نشرته مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام 1996م.

18- **من وحى العروبة**، لعبد الرحمن البزاز، دار القلم، القاهرة، 1960م.

19- **نحو تحريفية أوسع للفكر القومي العربي**، مختارات من كتابات المفكر الراحل عزيز السيد الجاسم، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عام 2005م.